الاستدامة في منظمات الأعمال

د. رحاب عادل صلاح الدين أمين

مدرس محاسبة بمعهد المدينة العالي للإدارة والتكنولوجيا - شبرامنت

دكتوراه الفلسفة في المحاسبة والتمويل - كلية التجارة - جامعة القاهرة

بدأ الاهتمام بالمسؤولية الاجتماعية للمنظمات نحو المجتمع، وتطور الاهتمام إلى النظر للبعد الاجتماعي، البعد البيئي، البعد الاقتصادي، الذي شكل فيما بعد مصطلح التنمية المستدامة منذ الثمانينات، وكان بداية هذا الاهتمام تقرير "مستقبلنا المشترك" الذي نظمته الوكالة العالمية لشئون البيئة والتنمية، يلى ذلك تقرير Brundtland عام ١٩٨٧، ثم مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية عام ١٩٩٢، وبعد ذلك توالت الدراسات حول وضع مفهوم وأبعاد للتنمية المستدامة وسيتم تناول النقاط التالية: مفهوم التنمية المستدامة. وأبعاد التنمية المستدامة.

مفهوم التنمية المستدامة:

يعتبر مفهوم التنمية المستدامة مفهومًا جديداً يتم من خلاله دمج الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في مصطلح واحد، وعلى الرغم من انتشار هذا المفهوم وتداوله بشكل كبير إلا أنه لا يوجد تعريف متفق عليه عالميًا للتنمية المستدامة (Slimane, 2012).

أشار (المشهراوي، ٢٠١٥) أن الاستدامة تعني الاستفادة من الموارد والفرص المتاحة باستخدام أفضل الوسائل الممكنة، بما يدعم ممارسة منظمات الأعمال لأنشطتها بكفاءة وفاعلية من أجل تحقيق معدلات أرباح مرتفعة تجعلها قادرة على تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والبيئية.

وعرفت دراسة (إبراهيم، ٢٠١٦) الاستدامة في نطاق منظمات الأعمال والتي تسعى إلى تلبية حاجات ورغبات المستهلكين وأصحاب المصالح الحاليين والمحتملين، ومدى قدرتها في تحقيق الدمج بين العوامل الاقتصادية والبيئية والاجتماعية في عملياتها، فضلاً عن تحقيقها للأرباح والنمو واستخدامها للموارد الطبيعية والبشرية والمادية بالقدر المناسب ودون الإضرار بحق الأجيال القادمة في الاستفادة من هذه الموارد.

وترى الباحثة أن منظمات الأعمال التي تعمل على تحقيق الاستدامة يجب أن تكون أكثر ابتكاراً، ونتيجة لذلك تحقق زيادة في الربح فالاستدامة يمكن أن تنشىء نجاحًا تجاريًا، ولعل ذلك يترتب عليه ضرورة التزام المنظمات بأبعاد التنمية المستدامة.

أبعاد التنمية المستدامة:

أوضح مؤتمر (ريودى جانيرو– قمة الأرض، ١٩٩٢) فكرة التنمية المستدامة، وجعلها محور خطة العمل التي وضعها للقرن الحادى والعشرين، وأصبحت الفكرة محور الحديث في العالم (العيد، ٢٠١٣. شاكرى، ٢٠١٦).

وفيما يلى استعراض لأبعاد التنمية المستدامة:

أ- **البعد الاقتصادي**: تتطلب التنمية المستدامة ترشيد الموارد الاقتصادية، ومن خلال ذلك تأتي فكرة "المحاسبة البيئية للموارد الطبيعية"، فقد جرى الأمر بالمنظمات على عدم إدراج قيمة ما يستخدم من عناصر البيئة المتوفرة في حساب التكلفة (العيد، ٢٠١٣. محمد، ٢٠١٢).

وترى الباحثة أن ذلك قد يعرض الموارد الطبيعية غير المتجددة للنفاد وأنه يجب إدراج تكلفة تقديرية وتقنين استهلاك الموارد الطبيعية للحفاظ على حقوق الأجيال القادمة.

فالبعد الاقتصادي للتنمية المستدامة يوضح الانعكاسات الراهنة والمقبلة للاقتصاد على البيئة، ويطرح مسألة اختيار وتحسين التقنيات الصناعية في مجال توظيف الموارد الطبيعية (رشيد، ٢٠١٢).

ب- **البعد البيئي**: يختص بتأثير المنظمة على الأنظمة الطبيعية، كما أنه ينبغي لوجود نظام بيئي مستدام ضرورة الحفاظ على الموارد الطبيعية، والاستغلال الرشيد لأنظمة الموارد المتجددة وعدم استنفاد الموارد غير المتجددة، والبحث عن بدائل أخرى للموارد (شرف، ٢٠١٥. حجازى وعبد المعطي، ٢٠١٣).

وترى الباحثة أنه لتحقيق التنمية المستدامة لابد من مراعاة البعد البيئي لأنه يحافظ على حق الأجيال القادمة لأنها ليست ملكًا لجيل واحد فقط، وأن البعد البيئي أصبح سلاح تنافسى قوى لجذب المزيد من العملاء وزيادة الحصة السوقية للمنظمات.

ج- **البعد الاجتماعي**: يختص بتأثيرات المنظمة على الأنظمة الاجتماعية التي تعمل بها (شرف، ٢٠١٥).

وترى الباحثة أن هذا البعد يحفظ حق المجتمع من خلال قيام المنظمة بأنشطة اجتماعية التزاماً منها بتقديم تقرير الاستدامة في نهاية الفترة المالية لها واحتوائه على البعد الاجتماعي.

د- البعد التكنولوجي: التنمية المستدامة تعني تحول المنظمات وخصوصًا في الدول الصناعية إلى تكنولوجيا أنظف وأكفأ وتكون قريبة قدر المستطاع من انبعاث الصفر وتقلل من استهلاك الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية (رشاد وبوطبه، ٢٠١٦)

والتنمية المستدامة تعني الأسراع بالأخذ بالتكنولوجيا المتطورة وكذلك الالتزام بالقوانين لتجنب العقوبات، عن طريق استحداث أنظمة الإنتاج النظيف والتي تناسب الاحتياجات، وأن تزيد من الإنتاجية الاقتصادية دون مزيد من التدهور البيئي (عمر، ٢٠١٣).

وترى الباحثة أن هذا البعد ظهر نتيجة للتطورات التكنولوجية وملاحقة المنظمات لمسايرة التقدم التكنولوجي استجابة لرغبات العملاء، ففي ظل هذه التطورات أصبحت دورة حياة المنتج قصيرة لظهور منتجات أخرى أكثر تقدماً.

وبالرغم من وجود منظمات صناعية تعمل على تحقيق أهداف التنمية المستدامة، إلا أن بعض المنظمات قد تكون عائقًا أمام الوصول إلى النتائج المستهدفة لأن السائد هو السلوك والأنشطة غير المستدامة.

كما أن الغرض من الاهتمام بالتنمية المستدامة وإتباع المنظمات لها هو تصميم منتج مستدام يراعى توازن الأبعاد الثلاثة الاقتصادي والبيئي والاجتماعي عند ابتكار المنتجات، وتعظيم القيمة خلال دورة حياة المنتج والحد من كل نشاط يتعارض مع الاستدامة.

وبالإشارة إلى طرق تطوير وإتباع التنمية المستدامة يوجد ثلاثة مداخل نحو تطوير المحاسبة عن التنمية المستدامة فهم؛ المدخل الأول تبدأ به عمليات تطوير من داخل المنظمة عن طريق محاولة مساهمة المديرين في دعم التنمية المستدامة من وجهة نظرهم وقدرات المنظمة، المدخل الثاني تبدأ عملية تطوير المحاسبة عن التنمية المستدامة من خارج المنظمة والاهتمام بوجهة نظر أصحاب المصالح ويتبني هذا المدخل فكرة أن المنظمة كيان اجتماعي سوف يتم الحكم على مسؤوليتها الاجتماعية، المدخل الثالث يجمع بين المدخلين السابقين حيث يشير إلى ضرورة الجمع بين وجهة نظر المديرين داخل المنظمات وأصحاب المصالح خارج المنظمة.

إن المحاسبة عن التنمية المستدامة توفر معلومات مفيدة تساعد في الآتي: رقابة الالتزام بالقوانيين والسياسات والبيئة، تدعيم عمليات التحسين المستمر لعمليات المنظمة، توفير المعلومات المناسبة لاتخاذ القرارات الداخلية على مستوى إدارة المنظمة، توفير المعلومات لأغراض الإفصاح والتقرير الخارجي لأصحاب المصالح.

ونتيجة للاهتمام المتزايد بالتنمية المستدامة، ظهرت مراحل لتطبيق التنمية المستدامة بالمنظمات كما سيتم عرضها.

دورة حياة استدامة منظمات الأعمال:

إن تحديد رؤية الاستدامة للمنظمة يتم من خلال التركيز على نقاط القوة الداخلية للمنظمة والاستفادة من الفرص الخارجية بما يحقق ميزة تنافسية للمنظمة، وبالإضافة إلى تحديد نقاط الضعف ومعالجتها، ومواجهة التهديدات التي تواجهها المنظمة وتؤثر على نشاطها واستمراريتها، لذلك فقد أشار عدد من الكتاب إلى مراحل دورة حياة استدامة منظمات الأعمال (Azapagic, 2003. عبد الرحيم، ٢٠١٥. شرف، ٢٠١٥) كما يلي:

١. وضع سياسة التنمية المستدامة: من خلال إظهار القيم الأساسية لمنظمة الأعمال وبيانات عن مسؤوليات المنظمة نحو أبعاد الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

٢. التخطيط وتخصيص الموارد: تقوم المنظمات الكبرى بتخصيص وظيفة على المستوى التنفيذي، مثل تعيين مدير تنفيذي للتنمية المستدامة، ويشمل فريق عمل التنمية المستدامة أفراد من جميع إدارات المنظمة، بما يضمن تنوع الخبرات ووجهات نظر متعددة لفريق العمل مما يسمح بتحقيق أفكار التنمية المستدامة، وتتمثل مهام فريق عملها في جمع وتحليل المعلومات عن الآثار الاجتماعية والبيئية والاقتصادية الناتجة عن ممارسة المنظمة لنشاطها واتخاذ القرارات لتحقيق التنمية المستدامة.

٣. وضع مقاييس الأداء والتنفيذ: ويتم ذلك من خلال نظام متكامل لتنفيذ استراتيجيات أعمال مستدامة، كما يتطلب التنفيذ تعاون كافة أعضاء سلسلة التوريد في تنفيذ سياسة التنمية المستدامة، والعمل في هذه المرحلة على تقييم الأداء واكتشاف الفرص الاستراتيجية والتحقق من الكفاءة الاقتصادية لعملياتها، وترى الباحثة أنه للوصول إلى هذه المرحلة يتطلب ذلك مساعدة نظم المحاسبة الإدارية البيئية من خلال أساليبها لمد المنظمة بالمعلومات المناسبة.

٤ . الاتصال : عملية ضرورية لضمان تنفيذ استراتيجية الاستدامة في كامل إدارات المنظمة عن طريق الاتصال المستمر مع العاملين ومشاركتهم في اتخاذ القرارات، وكذلك الاتصال مع الأطراف الخارجية أصحاب المصالح من خلال الإفصاح عن تقارير التنمية المستدامة وما يتضمنه من معلومات مالية وغير مالية .

٥ . استعراض الإجراءات التصحيحية : من خلال استعراض ما تم تنفيذه ومراجعة الإجراءات، للمقارنة بين الأهداف المدرجة بالخطة الاستراتيجية للاستدامة وما تم تنفيذه .

النتائج

- لم يعد البعد الاقتصادي هو الضامن الوحيد لبقاء المنظمات الصناعية، فقد ظهرت أبعاد آخرى تشارك في استدامة المنظمات وهى البعد الاجتماعي وما تقدمه المنظمات للمجتمع من خدمات، والبعد البيئي ومدى اهتمام المنظمة بالحد من التلوث البيئي لحفظ حقوق الأجيال القادمة وعدم المساس بها .
- قامت البورصة المصرية بدور هام ومحوري لتنمية ودعم ثقافة الاستدامة وأصبحت واحدة من البورصات المستدامة على المستوى العالمي منذ إطلاق مؤشر المسؤولية الاجتماعية والبيئية وحوكمة الشركات عام ٢٠١٢، وإصدار الدليل الاسترشادي عام ٢٠١٦ وفي انتظار المزيد من التطور في الفترة القادمة .
- لا توجد طريقة مثلى لقياس التنمية المستدامة لكل منظمة، إلا عن طريق قياسها بوضع بعض المؤشرات إذا تحققت ترتفع استدامة المنظمة وإذا لم تتحقق تنخفض استدامة المنظمة .

المراجع

أولاً : المراجع العربية

– إبراهيم، آفاق ذنون، (٢٠١٦) . نموذج محاسبى للإفصاح الاختيارى عن تقارير الاستدامة في ترشيد قرار الاستثمار دراسة تطبيقية . رسالة ماجستير . جامعة المنصورة .

– العيد، بالضياف، (٢٠١٣) . المؤسسة الاقتصادية بين أهدافها وتحقيق التنمية المستدامة دراسة حالة المؤسسة الوطنية سوناطراك . رسالة ماجستير . جامعة قاصدى مرباح ورقلة . كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية .

– المشهراوى، زهر حسنى، (٢٠١٥) . دور محاسبة الترشيد في دعم استراتيجية الاستدامة من وجهة نظر محاسبية . مجلة جامعة الأزهر غزة سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد السابع عشر، العدد الأول، ١٤٥–١٧٦ .

– حجازى، عزة محمد، عبد المعطى، محمد محمود، (٢٠١٣) . مناطق الصناعات التكنولوجية والتنمية المستدامة دراسة تطبيقية على مصر . المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، المجلد السابع والعشرون، الجزء الثانى، ٣٠٧–٣٥٠ .

– رشاد، مرداسى أحمد، بوطبة، صبرينة، (٢٠١٦). دور الهندسة المالية في تحقيق التنمية المستدامة. دراسات الجزائر، العدد السادس والاربعون، ٢٠٥–٢٢٣.

– رشيد، بو عافية، (٢٠١٢). استراتيجية الطاقة والبيئة في ظل التنمية المستدامة بالجزائر. المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية، العدد الأول، ١٣٣–١٦٥.

– شاكرى، سمية، (٢٠١٦). التمكين من الاقتصاد الأخضر لتحقيق التنمية المستدامة. المؤتمر العاشر لكلية الآداب بعنوان نحو بناء استراتيجية للتنمية المستدامة في صعيد مصر في ظل العلوم الإنسانية. في الفترة من ١٣–١٤ مارس.

– شرف، أحمد عبد القادر، (٢٠١٥). مدخل مقترح لتأكيد تقارير استدامة الشركات المصرية وانعكاسه على إدراك أصحاب المصالح: دراسة مقارنة. رسالة دكتوراه. جامعة القاهرة.

– عبد الرحيم، جمال كامل محمد، (٢٠١٥). قياس أثر تطبيق المؤشر المصرى لمسؤولية الشركات عن التنمية المستدامة في ضبط الأداء المالى مع دراسة ميدانية على الشركات المصرية المقيدة بالبورصة. رسالة دكتوراه. جامعة قناة السويس.

– عمر، زينب إمام عبد الحافظ، (٢٠١٢). القياس والتقرير المحاسبى عن عمليات التنمية المستدامة دراسة تطبيقية على قطاع البترول في مصر. المجلة العلمية للبحوث والدراسات التجارية جامعة حلوان، العدد الثالث، ١٣–٧٣.

– محمد، آمنة أبو النجا، (٢٠١٢). أثر التسويق البيئي في بناء الصورة الذهنية للمنظمة دراسة تطبيقية. المجلة العلمية للتجارة والتمويل جامعة طنطا، المجلد الأول، العدد الرابع، ٣٥١–٣٩٨.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

– Azapagic, A. (2003). Systems approach to corporate sustainability: a general management framework. Process Safety and Environmental Protection, 81(5), 303–316.

– Slimane, M. (2012). Role and relationship between leadership and sustainable development to release social, human, and cultural dimension. Procedia–Social and Behavioral Sciences, 41, 92–99.